نجيب محفوظ: رائد الرواية العربية الحديثة

د. محمد نجم الحق الندوي•

من المعلوم أن نجيب محفوظ من كبار الكتاب المصريين فى القرن العشرين، وكانت شهرته فى العالم العربى قد بلغت الذروة فى الأربعينات حينما أظهر الأديب الكبير الناقد سيد قطب رأيه فى أعماله الأدبية الباكورة, وانتقد النقاد الكبار بما كانوا يذهلونه.[1] ففى الستينات عند ما بدأت كتاباته تخترق الجدران العالمية وترجمت أعماله الأدبية إلى اللغة الألمانية قال الناقد الألماني الشهير " هنريش فوج" لو كان عندنا أديب مثل نجيب محفوظ لدفعنا من أجله الملايين وترجمنا أعماله إلى كل اللغات حتى يفوز بجائزة نوبل"[2]

وعلى رغم مرورعشرين عاماً لم يفعل أحد ذلك لنجيب محفوظ. ولم يطلب هوشيئاً ولكن بالإصرار والدأب أنجز لنفسه كل شيئ. وعندما جاءته الجائزة كان هو أكبر منها بكثير. فطارت شهرته إلى الأوساط الأدبية العالمية لفوزه بجائزة نوبل العالمية فى الأداب سنة 1988م, وانتشرت شهرته من أقصى الأرض إلى أقصاها، وبدأت أعماله الأدبية تترجم إلى كل اللغات الحية فى العالم, لأنه كاتب عظيم أعطى هرما عملاقا فى تاريخ القصة والرواية العربية, وقدره الشرق الأوسط حق تقديره, وأحبه الجيل الراهن من الأدباء والكتاب, لأنه أسس الرواية العربية الحديثة وبنى عمارتها الشامخة من جديد, من حيث أنه سيبقى في العروق الجديدة دماً غاليا يغذى الحاضر والمستقبل بأسباب الحياة, ولأن أدبه هو أحد الأعمدة الأساسية فى بناء تاريخ الرواية العربية الحديثة التى قام بها صرح الأدب العربى الشامخ, مع ذلك كله أن نجيب محفوظ واجه كثيراً من المشكلات والتحديات فى حياته الأدبية من جانب الحكومة ومن غير جوانبها، فقد واجه فتاوى بعض العلماء الأزهريين بهدر دمه حتى أصيب محاولة اغتياله سنة 1994م. وذلك لزعم المتطرفين أنه هجم على الإسلام في بعض رواياته الأدبية بالخصوص في روايته" أولاد حارتنا" وفق شرحهم.

• مدير معهد اللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ

ولادته ونشأته :

كان أديبنا نجيب محفوظ من أصغر أولاد عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا ولد فى يوم الاثنين 11ديسمبر عام 1911م[3] فى حى الحسين لمنطقة الجمالية بمدينة القاهرة, وترعرع مثل جميع أطفال الحى من الأسر الوسطى المصرية, فكانت له علاقة خاصة بوالديه ولا سيما بأمه الحنون. بأنه كان أصغر أولادها أو ولدها الوحيد الذى يسكن معها فى البيت بعد أن تزوج كل من الإخوة والأخوات. وكان له أخوين وأربع من الأخوات. وكان فارق السن بينه وبين الأخ الذي يكبره مباشراً عشر سنوات[4] وحين بلغ إلىمرحلة الصبا كانت أخواته قد تزوجن أما أخواه فكانا قد تخرجا وتوظفا وتزوجا كذلك, فنشأ كأنه وحيد أبويه [5] وبعد ثورة 1919م انتقلت أسرته فى سنة 1920م من حي الحسين إلىحي العباسية وفى الحقيقة أن لانتقال أسرته من حي الحسين إلى حي العباسية أسباباً، منها أن العائلات الكبرى التى تسكن فى حي الحسين قد بدأت فى التروح من المنطقة عائلة وراء الأخرى، بعد انتقال تلك العائلات فقدت الحارة بهجتها وروحها وانطفأت نورها فاضطرت أسرة نجيب محفوظ على ترك الحارة[6]

والد نجيب محفوظ :

اسمه عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا. من مواليد عام 1870م ، وكانت أسرة الباشا فى منطقة رشيد أسرة شريفة من الطبقة الوسطى المصرية, ثم هاجرت أسرة الباشا إلى الإسكندرية وكان أبوه مؤظفا صغيرا فى الحكومة بمدينة القاهرة ثم تركها واشتغل بالتجارة[7] وكان والده لم يكن من عشاق القراءة, والكتاب الوحيد الذى قرأه بعد القرآن الكريم هو "حديث عيسى بن هشام" وهذا الكتاب أيضاً لم يقرأه بهواية القراءة بل قرأه لسبب مؤلفه- محمد المويلحى - فأنه كان صديقاً له ويسكن فى نفس المنطقة[8] وكان والده رجلا سماعاً للأغانى قبل ظهور الراديو فكان يذهب إلى نادى الموسيقى لذلك الوقت حيث يستمع إلى المطربين القدامى مثل عبد اللطيف البنا والشيخ إدريس وغيرهما إلى أن تنتهى السهرة ويعود الى البيت[9] وكان والده يعامل أولاده بحنان ولطف وبقدر من التسامح والمرونة والديمقراطية

ولـيس فـيما بينهم استبداد أو عنف, وتحدث أديبنا نجيب محفوظ فى حوار عن والده"أنه لم يضربنى فى حياته الا مرة واحدة"[10] واهتم والده بتعليم الأبناء حتى نهايته, أما بالنسبة للبنات فأتاح لهن قدراً من التعليم الذى يعتبر معقولاً فى ذلك الوقت للأسرة الوسطى المصرية- أوائل القـرن العشـرين- حـتى إذا ما ظهرت عليهن علامات الأنوثة منعهن عن المدرسة وحدد إقامـتهن فى البيت[11] وعلى المستوى الشخصى كان والد نجيب محفوظ رجلاً ساذجاً, أما العلاقة بين والده ووالدته فقدكان مثالاً للاحترام والود والحب. وما كانت بينهما مشاجرة مع أن والدته كانت عصبية إلى حدما، فأحياناً يعلو صوتها إلا أنها كانت تحترم زوجها. فمنذ حصل نجيب محفوظ على الوظيفة بدأ يشكو والده من متاعب القلب كما كان مريضا بضغط الـدم مما أثر على قلبه، ولم يطلع على أي رواية له إلا لقد قرأ لنجيب محفوظ بعض قصصه الأولى الـتى نشرت فى الصحف وكان يشعر بسعادة غامرة عند ما يقرأ اسم ابنه على هذه القصص عام 1937م[12] وما أخذ نجيب محفوظ من والده فى أعماله الأدبية إلاّ شخصية أحمد عبد الجواد فى روايته - الثلاثية- حبه للفن فقط.

أم نجيب محفوظ :

كانـت ام نجيب محفوظ من نساء الأسرة الوسطى المصرية اسمها فاطمة بنت الشيخ إبـراهيم مصطفى الأزهرى. وكانت أمرأة مصرية متدينة مع كونها عصبية إلى حدّما، مطيعة لـزوجها وحـنوناً علـى أولادهـا, لاتقـرأ ولا تكتب ولكنها مثقفة, وكانت لها معرفة بالآثارالقديمـة المصـرية مـع شغفها بالآثار الإسلامية[13] وكانت دائمة التردد على المتحف المصـري وتحـب قضـاء أغلب الوقت فى حجرة المومياات, فحبها للحسين شديد وتزوره باسـتمرار, فمن الممكن أن حبها للحسين وشغفها بالآثار الإسلامية القديمة كان ينبغى أن يجعلـها تتنفـر من تماثيل الفراعنة ثم أنها كانت بنفس الحماس تذهب لزيارة الآثار القبطية وخاصـة "ديـرمار جرجس" ويمكن أن تأخذ المسئلة على أنها نوع من البركة[14] وكانت أم نجيب محفوظ امرأة عجيبة, فقدأوضح أديبنا نجيب محفوظ فى حوار عن حبها وشغفها لزيارة المـتحف والآثـار الفـرعونية, لم يكن من منطلق ديني أبداً. لأنها كانت تعتبر هذه الآثار مسـاخيط. بأنهـا عاصرت ظهور التلفزيون ولم يدخل بيتها. بل لم تدخل السينما الاّ مرة

واحـــدة لمشـــاهدة فيلم"ظهور الإسلام"بعد أن وصل إلى مسامعها أن من يشاهد هذا الفيلم يكـــون بمثابة من ذهب لأداء فريضة الحج. وبما أنها لم تتمكن من أداء الحج فذهبت لمشاهدة الفيلم[15]

وكانت علاقة نجيب محفوظ بوالدته أوثق من علاقته بوالده لأسباب كثيرة منها أنه كـــان أصغر أولادها أو والده كان مشغولاً بأعماله ودائما كانت تصحب نجيب محفوظ فى زياراتها إلى سيدنا الحسين وإلى المتحف المصرى والآثار الفرعونية[16] وكانت حنوناً عليه أشد حناناً وكانت تتمتع بصحة جيدة طول عمرها. تحدث نجيب محفوظ : ولا أتذكر أنها ذهبت إلى طبيب فى يوم ما، أو اشتكت من مرض ما، باستثناء العام الأخير من حياتها حيث رقدت علـــى سريرها وهى عاجزة عن الحركة تماما، لقد ظلت أمى حتى حدود التسعين من عمرها تـــزور الحسين كما لم تنقطع عن زيارة أقاربها وعاشت سنوات طويلةً إلى أن تجاوز عمرها مائـــة عـــام[17] وتوفـــيت فى سنة 1968م التى حصل نجيب محفوظ فيها على جائزة الدولة التقديرية .

إخوة نجيب محفوظ وأخواته :

كـــان لنجيب محفوظ شقيقان و أربع من الأخوات. أما أخوه الأكبر إبراهيم فقد تخرج فى مدرسة المعلمين العليا وعمل مدرساً للرياضيات والعلوم, وعندما أصبح ناظر مدرسة نقل إلى ديوان المحاسبة وأحيل إلى المعاش وهو بدرجة" مراقب حسابات" وتوفاه الله سبحانه وتعالى فى العام الذى قتل فيه الرئيس الراحل أنوار السادات سنة 1981م[18], أما أخوه الأكبر منه مباشراً اسمـــه محمد، كان طالباً فى الكلية الحربية, وعندما تخرج وأصبح ضابطاً وذهب إلى السودان استمر فيه حتى عام 1924م. وعندما اغتيل السردار – سيرلى ستاك- أصدر الملك فؤاد أمراً ملكيا بعودة الجيش المصري من السودان, ورجع أخوه محمد إلى مصر مع الجيوش، وخدم فى الجـــيش المصـــري حـــتى وصل إلى رتبة –لواء –ومات فى عام 1975م[19] أماّ أخواته الأربعة فأسماءهن نعيمة ورتيبة وأمينة وزينب. وهن درسن فى الكتاب ثم درسن فى المدرسة الإبتدائية حـــتى إذا ما ظهرت عليهن علامات الأنوثة فمنعن عن المدرسة وحددت إقامتهن فى البيت وكلهن تزوجن بطريقة مصرية فى حداثة عمرهن, وعشن فى بيوت أزواجهن إلا شقيقته أمينة

جـــاءت إلى بيت أخيها نجيب محفوظ بعد أن توفى زوجها لتعيش مع أمها. وكل من أخويه وأخواته ماتوا جميعاً وآخرهم كانت أخته أمينة التى توفيت فى الثمانينات[20] ومن الممكن من اسمها أخذ نجيب محفوظ اسم أمينة بطلة روايته - بين القصرين-.

حياة نجيب محفوظ الدراسية :

أوّل مدرسة التحق بها نجيب محفوظ فى السادسة من عمرها هى كتاب فى حارة - الكبابجي- بالجمالية، حفظ أديبنا نجيب محفوظ جزئاً من القرآن الكريم فى ذلك الكتاب وبدأ يـــتعلم مبادئ القراءة والكتابة، والكتاب فى تلك الأيام كانت لها أهمية كبرى، لأن الالتحاق بالمدرسة الإبتدائية يتم بطريق الامتحان، ولا يقبل الطالب الا اذاكان لديه قدر من المعرفة فى القراءة والكتابة[21] ثم التحق بالمدرسة الإبتدائية -مدرسة خليل آغا- فى العباسية حينما انتقلت أســـرته إلى العباسية وكان عمره تقريباً تسع سنوات، وعاش أديبنا لذلك الوقت فى جوّ يخلو مـــن رفقة الإخوة والأخوات جوّ صارم دينى محافظ يقدس فيه الأب والأم ويسيطر على جو البيت سيطرة شبه جو دينى صارم كما يسيطر عليه روح الكبار أيضاً جو يخلو من الصداقة مما جعل الصداقة تلعب دوراً كبيرا فى حياته.

وبرغم الجو الدينى الوطنى الذي قضى فيه نجيب محفوظ طفولته طبيعية ولكنه أصيب فى طفولـــته بالصـــرع- كان الصرع فى ذلك الوقت من الأمراض القاضية وكانت وسائل العـــلاج بدائية, وكان هذا المرض ينتهى دائماً بالموت أو الجنون- وبسبب هذا الصرع تأخر نجيب محفوظ فى دراسته الابتدائية عاما،[22] ثم التحق بمدرسة فواد الأول الثانوية وحصل على شـــهادة العليا من الثانوية فى التاسع عشر من عمره، وبعد ذلك أراد الالتحاق بقسم الفلسفة بكلـــية الآداب بجامعة فؤاد الأول- جامعة القاهرة الآن- فهاجم عليه أقرباءه. وتحدث أديبنا نجيب محفوظ عن التحاقه بقسم الفلسفة بكلية الآداب"وفى الحقيقة أن التحاقي بكلية الآداب كان شيئاً غريباً بالنسبة لكل المحيطين بى, لأننى كنت متفوقاً فى مادة الرياضة والعلوم مع ذلك اختـــرت كلـــية الأداب فى البكالوريا, احتج المدرسون وقالوا لى: مافعلت بنفسك؛ وكأننى ارتكبت جريمة. وكانت وجهة نظرهم أننى متفوق فى جميع المواد العلمية. وكان عندهم حق أن أختار كلية الحقوق سأصبح وكيل نيابة أو أختار الطب و الهندسة، ولأننى كنت أنجح فى المـــواد الأدبـــية بصعوبة وخاصة الجغرافية والتاريخ واللغتين الإنجليزية والفرنسية, وحصلت بمشقة على الدرجة المتوسطة, والمادة الأدبية الوحيدة التى تفوقت فيها هى اللغة العربية، رغم

تلك الاحتجاجات التحقت بقسم الفلسفة بكلية الآداب . وكان عدد الطلاب لتلك السنة حوالى عشرين ألفا وحصلت على مجموع 60% وجاء ترتيبي العشرين على المدرسة, وبهذا المجموع كان فى إمكاني الالتحاق بكلية الحقوق مجاناً, ولكنى فضلت كلية الآداب بقسم الفلسفة"[23] فدرس أديبنا نجيب محفوظ الفلسفة وتخرج فى قسم الفلسفة بكلية الآداب سنة 1934م, وكان أديبنا نجيب محفوظ تلميذا مقربا فى قسم الفلسفة لأحد من كبار علماء الدين الإسلامي المعاصرين, وهو الشيخ الدكتور مصطفى عبد الرزاق, وكان يريد فى بداية حياته أن يواصل دراسته العليا إلى الدكتوراة, وسجل للرسالة بالماجستير تحت إشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن : معنى الجمال فى الفكر الإسلامى[24] ولكن بعد ذلك غيّر إرادته وترك الدراسة والبحث, واختار الكتابة والأدب, و بدأ يعمل فى الوظيفة.

حياة نجيب محفوظ الوظيفية :

من أهم المصادر التى اعتمد عليها أديبنا نجيب محفوظ فى حياته الأدبية هي الوظيفة الحكومية, حيث عمل موظفا لمدة 37سنة فى مناصب شتى للحكومة بعد تخرجه فى الجامعة مباشراً وتنقل خلالها فى عدة وظائف حكومية, ويعترف نجيب محفوظ بأنها رغم استفادته القصوى من الوظيفة كمتحف حى للنماذج البشرية ونقل تفاصيل كثيرة لشخصيات عرفها فى حياته الوظيفية إلى أعماله الأدبية, وهو نوع من النقل الفنى وليس نقلاً تسجيليا فوتوغرافياً, إلا أنه كان يتمنى أن تكون له مكانة مرموقة فى المجتمع ويقضى بها حوائجه اليومية بسهولة وهى لا تكون إلا بالوظيفة, لأن- فى الحقيقة- الوظيفة هى قوة بيروقراطية, والقيمة الحقيقية هي قيمة البيروقراطية, والجميع يحرص على الوظيفة, حتى أي متخصص فى أى مجال قد يحرص على الرقية ليصبح إداريا, وينسى تخصصه ويكون هدفه الأصيل أن يصبح وكيل نيابة أو وزارة.

وفى الحقيقة أن أديبنا نجيب محفوظ ابتدأ حياته الوظيفية فى منصب السكرتير العام بجامعة فوأد الأول -جامعة القاهرة الأن - سنة 1936م بعد تخرجه فى الجامعة [25] وعمل فى هذا المنصب إلى سنة 1939م وانتقل أديبنا نجيب محفوظ سنة 1939م من السكرتارية الجامعية إلى وزارة الأوقاف, وعمل فيها فى منصب السكرتير البرلمانى إلى سنة 1954م, وانتقل منها سنة 1954م إلى إدارة الرقابة, وعمل فيها مديرا للرقابة، وعندما أصبح الدكتور ثروت عكاشة وزيرا للثقافة (1969م ــ 1962م) حوّل الرقابة إلى مؤسسة دعم السينما, وأصبح

أديبنا نجيب محفوظ مديرا لمؤسسة دعم السينما سنة 1959م وبعد ثروت عكاشة جاء الدكتور محمد عبد القادر حاتم فى نفس الوزارة فقرر إدماج مؤسسة دعم السينما مع مؤسسة السينما, وانتخب رئيسا للمؤسسة الجديدة المهندس صالح عامر وعين نجيب محفوظ مستشارا للوزير لشئون الثقافة سنة 1966م [26] وعندما عاد الدكتور ثروة عكاشة مرة أخرى إلى وزارة الثقافة عرض عليه رئاسة المؤسسة لشئون السينما, واعتذر نجيب محفوظ إليه, وعين عبد الحميد جودة السحار رئيسا للمؤسسة, وأصبح نجيب محفوظ مستشارا لوزير الثقافة سنة 1968م حتى أحيل إلى المعاش سنة 1971م, مختتما حياته الوظيفية الحافلة[27] وكانت أعلى درجة حصل عليها نجيب محفوظ هي رئاسة مؤسسة, وهى تساوى درجة نائب وزير، وأما أعلى راتب حصل عليها نجيب محفوظ فى الوظيفة الحكومية فكان مائة جنيه شهرياً.

حياة نجيب محفوظ الازدواجية :

قد قضى أديبنا نجيب محفوظ مدة طويلة عزوبا، و من الممكن أن بينه وبين فتاة من الأسرة العليا كانت علاقة ودية بأن عرض إلى أسرتها خطبة ولكنها رفضت أو أنه كان يطلب فتاة مثقفة ولكن لم تتح له مثل فتاة أحلامه فلم يتزوج، وأخيرا أنه قابل عطية الله – فتاة مثقفة مصرية كانت أسرتها تسكن في الإسكندرية– ووجد فيها الصفات التى كان يبحث عنها منذ زمان كأديب, وتزوجها سرا وهو فى الثانية والأربعين من عمره, وأخفى أمر زواجه عن الأسرة، ودخل بزوجته فى شقة شقيقه محمد حتى يتجنب ثورة أمه, لأنها كانت رتبت أمر زواجه من فتاة من أقربائها الأثرياء, وهو خذلها أمام الجميع, فلم يستطع أن يفاجئها بزواجه من امرأة أخرى[28] وكان زواجه من عطية الله زواجاً عمليا اجتماعيا, بمعنى أنه اختار الزوجة المناسبة لظروفه و لم تكن بينهما أى قصة حب سابقته على الزواج, وكان فى حاجة توفر له ظروفا مريحة تساعده على الكتابة ولا تنقص على حياته. وزوجته تفهم أن زوجها ليس كائنا اجتماعيا ولا يحب أن يزور أحدا أو يزوره أحد, لأنه وهب حياته كلها للفن والأدب. ووجد فى عطية الله هذا التفهم, وهى فى تلك الصفات المناسبة له, واستطاعت عطية الله أن تؤفر له جوا مناسبا جعله يتفرغ للقراءة والكتابة وحتى أن إخوته عندما كانوا يقدمون بزيارتهم المعتادة له كانت زوجة عطية الله تستقبلهم وتجلس معهم لتتركه وشأنه حتى

لايضع وقته فى مثل تلك الواجبات الاجتماعية[29] وأنجبت له بنتين سماهما أديبنا نجيب محفوظ تسمية دينية فاسم الكبرى أم كلثوم واسم الصغرى فاطمة, وذلك رغم ما يقال عن تسميته لابنته الكبرى باسم المطربة الراحلة أم كلثوم التى كان حماسه الشديد بها.[30] وبالجملة أن أسرة أديبنا نجيب محفوظ مع زوجته عطية الله وبنتيه أم كلثوم وفاطمة أسرة رفاهية وكل من أفراد الأسرة يطيب عن الأخرين وبذلك صرح أديبنا نجيب محفوظ"لا يمكن لى أن أنكر حقيقة أن زوجتى عطية الله تحملني كثيراً وتساعدنى على تطبيق النظام الصارم الذى فرضته علىّ حياتى, ووفرت لى جواً مكننى فى التفرغ للقراءة والكتابة, وحاولت بقدر طاقتها أن تعيدنى عن كل ما يعطلنى ويشغل تفكيرى وإذا كان لأحد فضل فى المكانة التى وصلت إليها فزوجتى فى المقدمة- جزاها الله كل خير".[31]

حياة نجيب محفوظ الأدبية :

بدأ أديبنا نجيب محفوظ حياته الأدبية بقراءة الروايات البوليسية فى سنواته الدراسية الابتدائية وتحدث نجيب محفوظ فى حديث له: بدأت قراءتى بالروايات البوليسية (سنكلير) و(جونسون) و (ميلتونوب) وغيرها من الروايات التى كان يترجمها حافظ نجيب وكانت منتشرة هى وأمثالها فى أيام طفولتنا، ربما استعرت أول رواية من زميل لى فى المدرسة الابتدائية، فأعجبتنى وعرفت أماكن شراءها.. كنا نذهب كل يوم جمعة إلى سينما"أولمبيا"فنشهد أفلام المغامرات العنيفة. ونخرج لنجد هذه الروايات معلقة تحت بواكى شارع محمد على فنشتريها لنعيش مرة أخرى فى هذ الجو الصاخب [32] وكذلك كان نجيب محفوظ من عشاق سعد زغلول بأنه كان يسمع عنه فى بيته فيبحث فى جريدة الأهرام عن صفحة البرلمان، وكانت تدور عيناه فيها للبحث عن تعليقات سعد زغلول وردوده، كان ذلك فى السنة الأولى من المرحلة الثانوية[33] وهكذا بدأت حياته بالقراءة. واستمرت قراءته رويداً رويداً حتى اتصلت حياته بالأدب. وكان يقرأ روايات تاريخية مترجمات كانت تنشر فى جريدة الأهرام مسلسلة[34]

وتولدت فى نفسه رغبة قوية وشغف خاص بقراءة الروايات فى كتابة مثل ما يقرأه غير هدف بعيد أن يصبح قصاصا أو روائيا وكانت تلك الرغبة تقوى وتتقدم بمرور الزمان, وتقدم عمره

بل زادت رغبته بجميع فروعها الأدبية والفنية، وفى فترة التجارب كتب كثيراً مما لم يطلع عليه أحـــد، وهذه التجارب الساذجة قد بدأت فى نفسه فى المرحلة الثانوية[35] ومصحوباً بها أخذ أديبـــنا نجيب محفوظ يهتم بالعالم الفكري والفلسفي والأدبي, وكان اهتمامه بالفلسفة مقدما على اهتمام أخر، ربما كان الأساتذة لذلك الجيل الذى تعلم بالفكر إبان شهرتهم كانوا أقرب إلى الفكر منهم إلى الفن مثل الدكتور طه حسين، وعباس محمود العقاد، وسلامه موسى، فقد قدمـــوا لـــه أفكاراً ومناهج فكرية أكثر مما قدموا له نماذج أدبية حتى الأدباء الشعراء الذين وجهـــوه من التراث العربى القديم إلى الاهتمام بهم كأبى العلاء المعري و المتنبى وابن الرومى, كلهم يغلب عليهم الطابع الفكرى, فانحصرت قراءات نجيب محفوظ أثناء المرحلة الجامعية فى أغلـــبها على النواحى الفلسفية, ولا سيما بعد أن قرأ المقالات الفلسفية لعباس محمود العقاد، وإسماعـــيل مظهر وغيرهما، تتعمق قراءاته وتحركت فى أعماقه أسئلة فلسفية. ووجد أن هذه همـــوم، وخـــيل إليه أنه سيجد الأجوبة الصحيحة لتلك الأسئلة الفلسفية بدراسة الفلسفة, وسيعرف سر الوجود ومصير الإنسان[36] فحاول فى كتابة المقالات الفلسفية لاقتناعه العقلى الشـــديد بالاتجـــاه الفلسفى مع الرغم أنه كان متفوقاً فى الرياضيات و العلوم، واختار قسم الفلســـفة بكلـــية الآداب، وكان المفروض لذلك الوقت أن يختار فى نهاية دراسته الثانوية أن يكـــون طبيـــبا أو مهندسا، كما كان يريد والده وصادم معه فى هذا الأمر، فكتب مقالات فلســـفية أثناء دراسته الجامعية من سنة 1930م إلى تخرجه فى الجامعة عام 1934م وبدأ ينشر مقالاته الفلسفية والفكرية فى تلك الفترة وبلغ عددها إلى سبعة وعشرين مقالاً. اشتملت منها عشـــرون مقالاً فى الفلسفة[37] وذات مرة ذهب نجيب محفوظ بمقالاته الفلسفية إلى مقر "المجلة الجديدة"ليسلم مقالته مباشراً إلى سلامة موسى. وكم كانت دهشة سلامة موسى حينما رأه، فقـــد ظن أنه أكبر سنا من ذلك وليس مجرد تلميذ فى المرحلة الثانوية، وقد استمرت علاقته بالمجلـــة الجديدة وهو طالب بالجامعة، وبعد تخرجه فى الجامعة أصبح من كتاب المجلة إلا أن علامـــات الدهشة لم تفارق سلامة موسى فى كل مرة يراه فيها[38] ولتلك الرغبة سجل بعد التفـــرغ للماجستير مع الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن: معنىالجمال فى الفكرالإسلامي, ثم إذا بموهبته الأدبية البارعة تتصارع كى تحتل مكان الفلسفة، فحاول تقليد أسلوب المنفلوطى فى النظـــرات والعبرات وحاول على كتابة قصة حياته على طراز"الأيام"للدكتور طه حسين

وكتب كتاباً سماه"الأعوام"ولكنه لم ير وجه النور وكان ذلك عام 1936م وهو العام الفاصل فى حياة نجيب محفوظ, و فيه قرر اختيار حرفة كتابة القصة بعد أن مر بصراع نفسى رهيب فى المفاضلة بين الفلسفة والأدب، وفى صراع مرير انتهى بانتصار الأدب, فهجر إعداد رسالة الماجستير بعد أن قطع فيها شوطاً وأيقن أن قلمه لن يسير بعد ذلك إلا فى ميسرة الأدب , رغم صعوبته وسهولة طريق الفلسفة, حيث كان أساسا متينا فى الدراسات الفلسفية والأدب ليس كذلك, مع ذلك اختاره لأسباب. من أهمها:أن الأدب العربى يفتقر إلى فن الرواية بشدة وكان التراث العربى الروائى الموجود فى ذلك الوقت محدوداً إلى حدما، والأعمال الروائية الموجودة قليلة جداً وهى أقرب إلى فن السيرة الذاتية مثل"عودة الروح"لتوفيق الحكيم و"زينب" للدكتور محمد حسين هيكل، و"الأيام"للدكتور طه حسين كما أن هذا الطريق كان يقتضى منه قراءات واسعة فى الأدب العربى العالمى على حد سواء[29].

ومن الملاحظة أن المقالات الفلسفية بدأ اهتمام نجيب محفوظ بها فى نهاية المرحلة الثانوية, حتى أنها نشرت له مقالتان فى عام 1930م قبل التحاقه بكلية الأداب, ثم بدأ هذا الإهتمام يتصاعد متسقا مع تركيز اهتمامه على الجانب الفكري والفلسلي, حتى بلغ ذروتها أثناء العام الأخير من دراسته الجامعية, وفى العام الذى تلاه وهو يعد رسالة الماجستير, ثم بدأ تتخلف حتى مقالتين أثناء سنة 1936م ربما كان من بقايا نشاط عام 1935م كما كان المقال الوحيد الذي نشر عام 1937 مقالاً سبق نشره عام 1934م أي أنه حسم اختياره للأدب 1936م, أما بالنسبة لمقالاته الفنية فقد بلغت ذروتها عام 1933م، وكانت أنطون تشيكوف فى الأدب الروسى ومسرحية"الخال فانيا"لتشيكوف و"عمد المجتمع"لهنريك إبسن و"موليير" و"أيات النهضة" لميكايئل أنجلو بما يعكس توجها نحو الفنون عامة والآداب بشكل خاص ثم توقف نهائياً عن كتابة المزيد فيها, وإن قدم باباً ثانياً فى -الأيام- نشرفيه مقالاته عام 1943م — 1944م. ثم أهى مقالاته عام 1945م بثلاث عن"التصوير الفنى فى القرآن الكريم"و"رأى الترجمة"و"القصة عند العقاد"ليتوقف بعدها نهائيا, و فى تلك الأثناء كان أمامه طريق ممهد هو طريق الشعر. وكان يحب الشعر ودواوينه, وكان فى إمكانه الاستمرار, خاصة أن الشعر تراث عريق فى الأدب العربى, بل هو كما يقال بصدق - أن الشعر ديوان العرب- والسبب الأساسى الذي جعله يتراجع عن إنشاد الشعر هو افتقاده لملكة الحفظ التى يقوم عليها أساس الشعر.[40]

أمـــا بالنسبة للقصة القصيرة فقد بدأ اهتمامه بها أثناء دراسته الجامعية وبلغ ذروتها أثناء عام 1938م ـــ 1939م بعد أن حسم اختياره للأدب، ثم استمر ينشر ما يكتب حتى توقف نهائيا عـــام 1946م بعد أن بلغ إجمالي مانشره أثناء تلك الفترة 73 قصة[41] ومن الجدير بالذكر أن أديبنا نجيب محفوظ ابتداء قد توقف تماما عن كتابة القصة القصيرة بعد فترة استمرت أكثر من عشـــر سنوات، لأن نجيب محفوظ لم يجد نفسه رغبة إلى القصة القصيرة, ولذلك توقف و لم يكمل المسيرة حتى وجد رغبة بعد ذلك بشكل طبيعي في الستينات فعاد إليها، ولعل اهتمامه الأساســـي كان متحولاً نحو الرواية. وتحدث نجيب محفوظ في حوار"أول قصة قصيرة كتبتها وليس وراءها دافع فني ولكن عجزي عن نشر الرواية جعلتني أتسلى بكتابة القصة القصيرة، وبعـــد ذلك ما كتبت رواية أو قصة إلا وراءها دافع فني لا مفر منه[42] كما أنه أضاف معبراً لإقـــباله علـــى القصـــة القصـــيرة في حوارآخر..... - وجاء وقت قبلت فيه الأقصوصة فانصرفت إلى كتابتها ونشرها وإن لم أمتنع في الوقت نفسه عن كتابة الرواية[43] وكما اعترف نجـــيب محفـــوظ للـــناقد أحمد عطية الله في حوار له وذكر في كتابه- مع نجيب محفوظ- قـــائلاً.... لقد بدأت كتابة القصة القصيرة متأثراً بقصص محمود تيمور وإبراهيم عبد القادر المـــازني, ومترجمات يوسف السباعي القصصية، وعندما عدت إلى كتابة القصة القصيرة لم أكـــن متأثراً بأحد من كتاب القصة القصيرة، وكنت أكتب القصة القصيرة بروح الرواية- فكـــل قراءاتـــي في الروايات وأقلها في القصة القصيرة[44] وكان الاطلاع على الأدب العالمي والتأثـــر به والتحرر من النظرة الفلسفية في الأدب بالنسبة لنجيب محفوظ أنه أخذ من الرواية عـــن أســـاطينها في القـــرب، فقـــرأ جالزور ذي ولور انس، وويلز، وجويس وتولستوى، وتورجنيف ودستويفسكي، وتشيكوف وجوركي كما قرأ استندال وفلوبير وبروست ومالرو وأناتـــول فـــرنس وغيرهم- واتخذ من روايات والترسكوت التاريخية نموذجاً اتبعه في مرحلة إنتاجه الأولى. ونجيب محفوظ من هذه الناحية لا يختلف عن الجيل الذي سبقه بعشر سنوات أو عشرين سنة[45]

اختيار نجيب محفوظ كتابة الرواية :

و من الجدير بالذكر أن من سنة 1937م بدأ تكثيف اهتمام أديبنا نجيب محفوظ بالرواية ، لأن الرواية هي الفن الذي وجد فيه نجيب محفوظ غذاء الروح، ولأن الرواية شكل عجيب من حيث أنه يحتوى جميع الأشكال الأدبية- بل الفروع الفينة كلها، مثل ذلك أن المسرحية إذا احتوت لمحة روائية عد ذلك عيبا، ولكن الرواية تحتوي المسرحية والشعر والمزامير الموسيقية والفن التشكيلي أيضاً، وبذلك أصبحت الرواية أفضل أداة للتعبير فى أي عصر كان، وتسمح للأديب حرية النفس ، ولذلك أقبل أديبنا نجيب محفوظ على اختيار الرواية لاتساق رقعة مزاياها ولتضمنها العديد من الأشكال الأدبية الأخرى، كانت أول رواية كتبها أديبنا نجيب محفوظ ويتحدث عنه فى حوار : كنت فى إجازة وخطر لى أن أكتب رواية ريفية فكتبتها وأنا لم أزر الريف فى حياتى، ولذا أخذت الرواية مصيرها الوحيد، ولكن سلامة موسى رفض عن نشرها بعد قراءتها[46] ومع ذلك لم يتخلف أديبنا نجيب محفوظ عن كتابة الرواية بل ازداد شغفه بها كثيراً لأنه وجد فيها نفس الحياة الأدبية وروحها لأسباب شتى:

أولاً : أن الرواية عبارة عن اسعراض للحياة اليومية بكل مشاكلها وحوائجها وقضاياها وأشخاصها فلذا أصبحت الرواية عند نجيب محفوظ سجل واسع الأهداف النفسية والاجتماعية والأنتولوجية الجمالية- فهو يمكن أن تقوم بدور الشاهد المعروف والمشرف السياسى وخادمة الأطفال وصحفى الوقائع اليومية والرائد ومعلم الفلسفة السرية- وهي أيضا تقوم بهذه الأدوار كلها فى فن خاص يهدف إلى أن يحل محل الفنون الأدبية جميعاً، فهى تهضم ما قبلها وما بعدها من أشكال أدبية و فنية بكل منجزاتها الجمالية.

ثانياً - أن الرواية عند نجيب محفوظ هى بديل الحياة، فهي تثبت مصيراً ما. مهما كان نوعه، إلا أنها تثبته فى نهاية المطاف، ولقد حلت محل الفكرة الأبدية، هذه هى الفكرة التى هو تعويض بها يتجدد دائماً.

ثالثا - أن الرواية عند نجيب محفوظ ليست إلا تقطيراً للعالم الذي نعيش فيه وتركيزاً له، وهى تلهث خلف أعماق رغبات الإنسان، ويمكن لها أن تحاصر كل ما اتيح للفكر الإنسانى أن يحققه فى برهة معينة من تاريخية أو غيرها، ومن تلك الاتجاهات ترك أديبنا نجيب محفوظ كتابة المقالات الفلسفية وتوقف عن كتابة القصة القصيرة, واختار كتابة الرواية العربية, وإلى هذا الهدف الأصيل الأساسي الذى حاول نجيب محفوظ ودرس لها كثيراً من الروايات الأجنبية من

الإنجليزية والفرنسية والروسية, وحاول أن ينفخ فى الرواية العربية روحاً جديدة حية, وأبدع لهـا فـناً ممتازاً وتغيرها بأدب جديد، حيث أن معظم هذه الدراسات قد التزمت بالمناهج التقليـدية الـتى تفترض نظرية معينة ثم حاول تطبيقها بل فرضها على الأعمال التى لاتتفق النظرية المفروضة التى ظهرت فى أوربا، بدأت فى النظرية وانتهت إلى الأعمال الفنية وتأثر بها كـتاب الشـرق العربى بالثقافة الوافدة من الغرب. فبدأ نجيب محفوظ كتابة الرواية العربية. وساعده على ذلك تخصصه هذا فى إبداع الأشكال الجديدة وابتكار أساليب حديثة لم يسبقها مـن الأشكال للرواية العربية الفنية, وأنه اختار الرواية من حيث الفن والأدب واختار لنفسه شغلا شاغلاً وقضى معظم حياته لتطورها, فكتب سبعة وثلاثين رواية من الروايات الفنية فى مجـالات شـتى, من الروايات التاريخية والرومانسية والاجتماعية والواقعية، ومن الروايات النفسية والتشكيلية والدرامية مع أنه كتب قصصاً قصيرة نشرها فى مختلف الجرائد, وأصدرها بعد ذلك مجموعة وبلغ عددها إلى ستة عشرة مجموعة، ونحن هنا نقسم أعماله الروائية فى عدة مراحل من حيث الموضوع والفن.

المرحلة التاريخية :

بـدأ أديبـنا نجيب محفوظ بالرواية التاريخية الحافلة بالمغامرات والحروب وهي تمثل الرومانس القريبة من الملاحم فى التاريخ الأول للرواية, وقد اتجه فيها إلى تاريخ مصر القديمة, كمـا تحدث نجيب محفوظ فى حوار "خطر لى أن أكتب تاريخ مصر كله من خلال سلسلة أعمـال روائـية تاريخـية أشبه بما فعله جورجى زيدان، وبدأت هذه السلسلة برواية"عبث الأقدار"ولكننى توقفت بعد ذلك-لأننى وجدت أنها سيعطلنى عن عملي الأصيل- وهو الرواية الفنـية- وذلـك لأن الـرواية التاريخية تحتاج إلى جهد كبير من البحث والدراسة وتجميع المعلومات، ربما عاودني الحنين إلى الرواية التاريخية بعد الأعمال الفرعونية الثلاثة الأولى- لمرة واحـدة فى روايـة"العائش فى الحقيقة"ونتاجه المنشور فى تلك المرحلة يشمل ثلاث روايات تاريخـية لمصر القديمة"عبث الأقدار" سنة 1939م "ورادوبيس "سنة 1943م و"كفاح طيبة "سنة1944م وأخيراً "العائش فى الحقيقة "سنة 1985م.

المرحلة الاجتماعية :

بـدأ أديبـنا نجـيب محفوظ بالروايات التاريخية التي تمثل مرحلة الرومانس و السير وقصـص المغامرات فى تاريخ الرواية عموماً وانتهى منها إلى مرحلة الرواية الاجتماعية التى أرسى فيها دعائم هذا اللون, وبدأ هذه المرحلة برواية "القاهرة الجديدة" سنة 1945م وهى رواية جديدة بالدراسة على ضوء إنتاج نجيب محفوظ- لأنها تحمل فى ثناياها بذورا لكثير من

مـــادة كتـــبه التاريخية ويتضح فيها فطرته الروائية وحسن فهمه لليتارات التى تتوزع شباب المثقفين فى الجامعة.

وبعـــد القاهرة الجديدة اتجه قلم نجيب محفوظ إلى حي قاهري شعبي عريق، إلى حي الأزهـــر والحسين فاتخذه مسرحاً، فهي رواية"خان الخليلي سنة 1946م"ولهذه الرواية مكانة مـــرموقة خاصة فهي أول ثمرة لانفعال الكاتب فنياً بالحي الذي ارتاده سنوات, محكم عمله كموظف فى وزارة الأوقاف, وكانت هذه الرواية بمثابة استكشاف للإمكانيات الفنية للحي القديم.

وبعد ذلك نجيب محفوظ كتب روايته"زقاق المدق"سنة 1947م وكانت زقاق المدق رواية نجيب محفوظ الأثيرة عند القراء وجدوا فى شخصياتها المبتكرة المألوفة فى نفس الوقت، وفى جوها المصرى الصميم متعة لم تتوفر لهم فى عمل روائي قبلها.

وعاد أديبنا نجيب محفوظ إلى معالجة نفس الموضوع على مستوي أنضج وأرقى فنياً من خير ما أنتج قلمه فى تلك الفترة وهى رواية"بداية ونهاية"سنة 1949م.

وبلغ إسهام نجيب محفوظ الذروة فى تدعيم المرحلة الاجتماعية فى الرواية في ثلاثيته الشهيرة. وقـــد اتخـــذ المكان دليلا لتحديد رقعة الأحداث فىكل جزء من الثلاثية"بين القصرين"سنة 1956م"قصـــر الشوق"سنة 1957م و"السكرية "سنة 1957م, فما زال حي الأزهر والحسين هـــو مـــوطن شخصيات الرواية, الا أن الكاتب وسع محور الزمن وأطاله بحيث يغطى ثلاثة أجيال من أسرة واحدة يتمثل فيها تاريخ وبالأحرى تاريخ الحركة الوطنية - 1917-1944- أى مـــن أخـــريات الحرب العالمية الأولى إلى أخريات الحرب العالمية الثانية، وليس أقدر من نجيب محفوظ على نفث الروح فى شخصيات ومقادير تلك القطعة الهامة من أرض القاهرة بل قلـــب مصـــر كلها، ورصد أحداث التاريخ لا من راوية المؤرخ أو من مصادر القراء بل فى تحققها الحي في حياة الشخصيات ومصائرها.

المرحلة النفسية :

توجه أديبنا نجيب محفوظ بعد المرحلة الاجتماعية إلى حديث النفس, وفى الحقيقة أن رواية "السراب"سنة 1948م كتبها نجيب محفوظ بضمير المتكلم على لسان بطلها .. ولذلك فهـــي أول روايـــة يخـــرج بهـــا الكاتـــب عن نطاق الروايات الاجتماعية إلى مجال الرواية السيكولوجية, حيث يأخذ القراء فى رحلة ممتعة داخل وجدان البطل الذى كان بمثابة العمود الفقـــري, الـــذى تتفـــرع منه جميع مواقف الرواية وشخوصها وتقتصر مهمة الشخصيات والمواقف على إلقاء الضوء على نفسية البطل والانعكاسات والخواطر والهواجس والانفعالات

التي تعتمد داخلها، ومن هنا استطاع الكاتب أن يتجنب الجرى وراء الخلفية الاجتماعية وخصائصها وبذلك تفادى النتؤات والزوايد التى تقلل من حيوية العمل الفني وعضويته.

وإذا كان الخط الأساسي في الرواية الممثل فى عقدة البطل من جهة أمه- فهو لا يستطيع أن ينفصل عنها- ومن جهة زوجته فهو لايستطيع أن يتصل بها جنسياً- هو الهيكل البسيط للرواية ... فلقد نجح الكاتب فى تجسيده وتطويره، فلم تكن الرواية مجرد دراسة جافة لعقدة أوديب فى العصر الحديث، لأنهاأخضعت أداوات علم النفس لدراسة الفن نفسه.

المرحلة الدرامية :

بعد الرواية الاجتماعية والنفسية توجه الكاتب إلى موضع جديد,ما شاهد الأدب العربى في عصور ره الماضية إلا "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري، وبدأ هذه المرحلة بكتابة روايته الشهيرة"أولاد حارتنا"سنة 1959م وهي رواية انتقد فيها كثير من النقاد وواجه الكاتب تحديات كثيرة بهذه الرواية من فتاوى القتل أيضا من جانب بعض علماء الأزهر حتى أصيب بمحاولة اغتيال متطرف سنة 1994م ومنع نشرها فى الدول العربية كلها إلا فى لبنان.

وفى الحقيقة عند ما يتصدى الباحث لدراسة رواية "أولا دحارتنا"شكلاً ومضمونا فإنه يختار فى أمرها لعدة أسباب:

السبب الأول أنها كتبت بعد "الثلاثية"ولكنها لا تحتمل أي أثر للمضمون الاجتماعي الواقعي الذي حاول نجيب محفوظ تشكيله أى أنها خروج عن الخط المألوف الذي بدأه منذ رواية "القاهرة الجديدة"سنة 1945م. ولعل التشابه الوحيد أن الروايتين تنتميان إلى روايات الأجيال مع فارق أساسي، أن"الثلاثية" تتبع تطور الأجيال فى أسرة واحدة هى أسرة السيد أحمد عبد الجواد بينما تتخذ"أولاد حارتنا"من الإنسانية كلها أسرة واحدة، تتبع تطورها وتاريخها على مر العصور والأزمان.

السبب الثانى الذي يحير الباحث أن نجيب محفوظ يعتمد على الجانب الميتافيزيقى الرمزي بصفة رئيسية لدرجة أن الجانب الاجتماعى يتلاشى تماماً. وهذا يعد نتيجة لشغف نجيب محفوظ بتجريب الأشكال الفنية الجديدة. وعدم الالتزام الصارم بمنهج واحد قد يصيب أعماله برتابة مملة وتكرار قد يقضى على عنصرالجدة والأصالة الواجب توافره فى كل عمل أدبي أصيل.

أما السبب الثالث فى حيرة الباحث فأن البعد التاريخي الذى لازم معظم أعمال الواقعية النقدية قد تلاشى أيضاً، وربما كان مرجع هذا إلى أن التاريخ الإنسانى برمته قد تحول إلى مضمون شامل لرواية"أولاد حارتنا"ولعل الصلة الوحيدة بين"الثلاثية"و "أولادحارتنا"أننا نحس بدورة الزمن الأبدية تقضي فى طريقها على الأجيال الجديدة إلى الوجود لتؤكد استمرار

عمليـــة التطور وإن الموت والحياة وجهان لعملية واحدة هي الحياة نفسها. وبصفة عامة فإن حـــيرة الـــباحث تصدر عن عنصرالمفاجأة عندما يجد نجيب محفوظ يعزف لحفا مغايرا تماما للألحـــان الـــتى تعـــود علـــى سماعها من قبل. وبخاصة فى المرحلة الاجتماعية الواقعية وهذا الاختلاف ليست نتيجة للموضوع والمضمون فقط ولكن للشكل أيضا، ولا غرو فى هذا فإن من بديهيات النقد المعاصر استحالة الفصل بين المضمون والشكل, فجدة المضمون استدعت بالتالى جدة الشكل حتى يكون التطابق بين الإثنين.

وفى الوقت نفسه فإن"أولا دحارتنا"لا تعد مرحلة روائية مبتورة كما وجدنا من قبل في روايـــة"الســـراب"التى تعد رواية سيكولوجية بالمفهوم العلمى لهذا الاصطلاح. فلم يجرب نجـــيب محفـــوظ هذا الشكل السيكولوجى مرة أخرى وإن كان يستعين فى معظم رواياته بالتحلـــيل النفسي لشخصياته وبلورة تيار الشعور واللاشعور عندها، أما"أولاد حارتنا"فتمد ظلـــها علـــى المـــرحلة الـــروائية التالية فالجانب الرمزي الميتا فيزيقي الذى بدأ بقوة وعنف فى"أولادحـــا رتـــنا"يســـتمر بـــنفس الدرجـــة فى روايـــة"اللص والكلاب"و " الطريق"و "الشحاذ"وبدرجة تقل فى روايتى"السمان والخريف"و"ثرثرة فوق النيل" نظرا, لأن الاجتماعية تعـــود للظهـــور والسيطرة مرة أخرى فى الروايتين الأخيرتين، وعلى هذا فإن تقسيمها لهذه الدراســـة إلى أربع مراحل تبدأ بالرومانسية وتمر بالواقعية ثم النفسية وتنتهى بالرواية الدرامية ولا يعنى الانفصال النهائي بين كل مرحلة وأخري، ولأنها مراحل متداخلة ومتشابكة داخل نســـيج روائـــي معقـــد ينبع من وجدان نفس الكاتب الذى تحكمه نطرة شمولية إلى الكون والأحـــياء بصـــفة عامة، بل أن المنهج الرمزي الذى بدأ خافتا فى أواخر المرحلة الواقعية بلغ أعلـــى درجاتـــه فى"أولاد حارتـــنا"نجـــده يستمر بنفس الدرجة حتى آخر روايات نجيب محفوظ"ميرامار"و"المرايا"و "الحب تحت المطر"وهذا يدل على أن أدوات الشكل الفنى لدي أي كاتـــب تخضـــع لحتمـــيات المضـــمون وخصائصه ، فهى تخفى ثم تعود إلى الظهور طبقاً للاحتياجـــيات التعـــبيرية للمضـــمون واستغلال هذه الأدوات يختلف من روائي لأخر طبقاً لاخـــتلاف العصـــور والـــثقافة والحضـــارة والبيئة والمنهج والنظرة ... الخ ومن هنا كانت الشخصـــية الأسلوبية التى تميز أي كاتب عن غيره من الكتاب الآخرين ولعله يمتاز عنهم إذا زادت مقدرة فى التحكم فى هذه الأدوات الفنية بحيث يجعلها فى خدمة المضمون ويتفادى أية فجوة بينه وبين الشكل. وهذه هى قصة رواية"أولا حارتنا"وهنا مباحث طويلة ولكن لانطول الكلام فى هذه المقالة الضئيلة التى لا تتحمل طولها.

المرحلة التشكيلية :

وبعد ذلك توجه أديبنا نجيب محفوظ إلى المرحلة التشكيلية التي بدأها برواية "اللص والكلاب" سنة 1961م و"السمان والخريف" 1962م و"الطريق" سنة 1963م و"الشحاذ"سنة 1965م و"ثرثرة فوق النيل" سنة 1966م"ميرامار" سنة 1967م و"المرايا" سنة 1973م و"الحب تحت المطر" سنة 1973م و"الكرنك"سنة 1974م و"حكايات حارتنا"سنة 1975م و"قلب الليل" سنة 1975م"حضرة المحترم"سنة 1975م"ملحمة الحرافيش" سنة 1977م و"عصر الحب"سنة 1980م "أفراح القبة" سنة 1981م"و"ليالي ألف ليلة"سنة 1986م و"الباقي من الزمن ساعة" سنة 1983م و "مرحلة ابن فطومة"سنة 1983م و"يوم مقتل الزعم"سنة 1985م و"حديث الصباح والمساء"سنة 1987م و"قشتمر" سنة 1989م وعلاوة لذلك أنه كتب على فوق العشرين مجموعة لقصص قصيرة ، لا أتذكرها هنا لتطويل هذه المقالة.

الجوائز :

وحصل أديبنا نجيب محفوظ على كثير من الجوائز محلية وعالمية تقديرا لأعماله الأدبية ولا سيما لتقدير الفن الروائي الحديث الذي أسسه من جديد في الأدب العربي. وأول جائزة حصل عليها نجيب محفوظ هي جائزة "قوت القلوب الدمرداشية" [47]سن1940م وكانت هذه الجائزة أربعين جنيها مصرياً. وحصل على "جائزة مجمع اللغة العربية" سنة 1943م وحصل على "جائزة وزارة المعارف المصرية" سنة 1953م وحصل على"جائزة الدولة التقديرية" سنة 1968م وأخيرا حصل أديبنا نجيب محفوظ على "جائزة نوبل العالمية فى الأداب" سنة 1988م تقديرا لأعماله الأدبية،وهو أهم حدث ثقافي عربي في القرن العشرين, وفي الحقيقة أن هذه الجائزة وصلت إلى العرب بعد انتظار طويل, فقد كان بعض الأدباء العرب يحلمون بأن ينالها في الثلاثينات مثل جبران خليل جبران بعد أن لفت أنظار الغرب إلى كتاباته المختلفة في اللغة الإنجليزية, كما كان البعض يزعمون بأن ينالها الدكتورطه حسين وتوفيق الحكيم ويحي حقي وأمثال غيرهم, ولكنهم لم يتشرفوا بهذه الجائزة.

ولم يكن العرب وحدهم موضع إهمال في جق جائزة نوبل العالمية في الآداب, بل امتد هذا الإهمال إلى ما نسميه الآن باسم العالم الثالث كله أي دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية, لم تنكسر قاعدة الإهمال للعالم الثالث إلا عند منح هذه الجائزة للشاعر الأديب الهندي الكبير رابندرنات طاغور لأول مرة سنة 1913م, وكان أول أدبي من الشرق يكسر الأسوار القائمة حول جائزة نوبل التي كانت تقول لنا بوضوح إن هذه الجائزة لن تكون يوما من قح أحد

من أبناء العالم الثالث وأنها جائزة مقصورة على الجنس الأوربي. وبعد أن نال الأديب الشاعر الهندي طاغور هذه الجائزة عادت الجائزة إلى تجاهلها لأدباء العالم الثالث, وظل الأمر على هذه الصورة حتى نالها أحد أدباء أمريكا اللاتينية وهو بابلينرودا من شيلي, ثم نالها أديب كبير من أمريكا اللاتينية أيضا ماركيز صاحب رواية"مائة عام من العزلة" سنة 1982م, ثم نالها أديب إفريقي نيجيري هو الكاتب الفنان سونكا سنة 1986م.

أخيرا جاء دور العرب فنال جائزة نوبل العالمية في الآداب سنة 1988م أكبر روائي في الأدب العربي ورائد الرواية العربية الحديثة بعد أن كان عدد كبير من الأدباء العرب يحرمون حول هذه الجائزة منذ فترة طويلة, وذهب بعضهم ليعيش في أوروبا سنوات متصلة ويسعى إلى ترجمة أعماله إلى اللغات الأجنبية ويوثق علاقاته بأدب الغرب ولعل ذلك كله أن يكون من العوامل المساعدة على نيل هذه الجائزة, بل لعل ذهب بعض الأدباء العرب إلى السويد "موطن الجائزة" واتصلوا بالأوساط الأدبية هناك آملين أن يكون في ذلك ما يلفت إليهم أنظار فيحصلوا على هذه الجائزة الفاخرة, ولكن الجائزة كانت لنجيب محفوظ الذي لا يحب السفر خارج مصر, ولم يسافر إلى أوروبا قط ولم يسع للاتصال بالأوساط الأدبية العالمية, ويحرص على أن يعطي وقته وجهده كله لأعماله الأدبية دون أن يجزي وراء هذه الجائزة أو غيرها اعتقادا من أن الإجادة الفنية هي الأساس الوحيد الحقيقي لأي نوع من أنواع النجاح.

وفي الحقيقة أن نجيب محفوظ هو أجدر الأدباء العرب بنيل هذه الجائزة, فهو المؤسس الحقيقي لفن الرواية العربية, ولاأعني بذلك أنه أول من كتب الرواية, فقد سبق إليه جبران خليل جبران, د.محمد حسين هيكل,جورجي زيدان, د.طه حسين, عباس محمود العقاد, توفيق الحكيم, يوسف السباعي, إحسان عبد القدوس وإبراهيم عبد القادر المازني وأمثال ذلك, وبذلك لا يكون نجيب محفوظ مؤسسا للرواية العربية بالمعنى التاريخي, ولكنه أسس الرواية العربية فنا وأدبا من جديد بالمعنى الصحيح, فلذا حظي بهذه الجائزة الفاخرة التي تشرف العالم العربي خاصة وتشرفت بها الأمة الإسلامية بعامة.

المراجع:

1 -كتب الأستاذ سيد قطب ثلاث مقالات قيمة فى أعمال نجيب محفوظ. الأولى حول روايته"كفاح طيبة" نشرها مجلة الرسالة (العدد 25,586ديسمبر 1944) الثانية حول "خان الخليلي" نشرها نفس المجلة (العدد 17,650 ديسمبر 1945م) الثالثة حول " القاهرة الجديدة" نشرها نفس المجلة (العدد 704-30 ديسمبر 1946م)

2- د. محمد الرميحى, *هل أصبح اغتيال المثقفين هو " الفريضة الغائبة"* (كتبها بعد محاولة اغتيال نجيب محفوظ سنة 1994م) الكويت : مجلة العربى,العدد- 433 (ديسمبر 1994م) ص-.

3- رجاء النقاش, نجيب محفوظ : *صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته* , القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الاولى (سنة 1419هـ/1998م) ص13/ رجاء النقاش , فى حب نجيب محفوظ, القاهرة :دار الشروق, الطبعة الأولى (سنة 1415هـ/ 1995م) ص16/ حسين عيد, *السياسية فى طفولة نجيب محفوظ*, الكويت : مجلة العربى، العدد-344 (ديسمبر 1994)ص31 / Ismat Mahdi, *Modern Arabic Literature*, Osmania University, Hyderabad, India: Dairatul Ma'arif press,. 1st publication(1983) p. 1440/M.M Badwi, *History of Modern Arabic literaturer,* (The Novel & Short story) Great.(lavender street, oxford, England: Oxfort University press, (1993) p-131/ نبيل عبد الكريم, نجيب محفوظ *يكسر الاحتكار*, (مجلة العالم. العدد 345.(اكتوبر 1988م)ص13. ولكن هنا اختلاف فى سن ميلاده وقد ذكر أحمد هيكل فى كتابه "الأدب القصصى والمسرحى فى مصر". (دار المعارف مصر- الطبعة سنة 1983م) أنه ولد فى سنة 1993م) ص92/ وكذا ذكر محمد يوسف الكوكن فى كتابه: أعلام النثر والشعر فى العصر العربى الحديث. (دار حافظة للطباعة والنشر مصر. الطبعة الثانية، سنة 1404هـ/ 1983م) ج3. ص430.

4- د. عبد المحسن طه بدر , نجيب محفوظ : *الرؤية والأداة*, مصر :دار المعارف, الطبعة الثانية, (سنة 1943م) ص 66

5- رجاء النقاش، نجيب محفوظ *صفحات من كراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته* , القاهرة :مركز الاهرام للترجمة والنشر, الطبعة الأولى (سنة 1419هـ/ 1998م) ص13 / حسين عيد, نجيب محفوظ.:*سيرة ذاتية وأدبية* , القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى, (سنة 1418هـ/ 1997م)ص81.

6- حسين عيد، نجيب محفوظ.:*سيرة ذاتية وأدبية* , القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى, (سنة 1418 هـ/ 1997م)ص81.

7- رجاء النقاش، نجيب محفوظ *صفحات من كراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته* , المرجع السابق ص14

8- المرجع السابق ص 18

9- المرجع السابق ص 20ـ22

10-المرجع السابق ص 19

11- المرجع السابق ص 17

12- المرجع السابق ص 22-23

13- المرجع السابق ص 14

14- المرجع السابق ص 15

15- المرجع السابق ص 16

16-.المرجع السابق ص 16

17- المرجع السابق ص 16

18- المرجع السابق ص.19

19- المرجع السابق ص 15

20- المرجع السابق ص 17

21- المرجع السابق ص 31 / حسين عيد ، *السياسة في طفولة نجيب محفوظ* , الكويت : مجلة العربي، العدد- 433، السنة- السابعة والثلاثون،(ديسمبر 1994م)ص 34.

22- د. عبد المحسن طه بدر، *نجيب محفوظ : الرؤية والأداة* , مصر : دار المعارف, الطبعة الثانية، (سنة 1984م) ص66ـ67

23-رجاء النقاش، *نجيب محفوظ، صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته*، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى, (سنة 1419هـ/1998م) ص 30

24- رجاء النقاش ، *في حب نجيب محفوظ*, القاهرة : دار الشروق، ، الطبعة الاولى, (سنة 1415هـ/ 1995م) ص 260.

25- رجاء النقاش ، *نجيب محفوظ، صفحات من مذكراته واضواء جديدة على أدبه وحياته* ,المرجع السابق ص 22.

26- الدكتور عبد المحسن طه بدر، *نجيب محفوظ : الرؤية الأداة* ، القاهرة : دار المعارف ,الطبعة الثانية, (سنة 1984م) ص 65ـ68/ رجاء النقاش، *نجيب محفوظ صفحات من مذكراته واضواء جديدة على أدبه وحياته*, المرجع السابق ص 48ـ49.

27- رجاء النقاش، *نجيب محفوظ صفحات من مذكراته واضواء جديدة على أدبه وحياته*, المرجع السابق ص 50.

28- رجاء النقاش، *نجيب محفوظ صفحات من مذكراته واضواء جديدة على أدبه وحياته*, المرجع السابق ص 45 ./ الدكتور عبد

المحسن طه بدر، *نجيب محفوظ : الرؤية والأداة*، المرجع السابق ص 65 .

29- رجاء النقاش، *نجيب محفوظ صفحات من مذكراته واضواء جديدة على أدبه وحياته*, المرجع السابق ص 107.

30- الدكتور عبد المحسن طه بدر، *نجيب محفوظ: الرؤية والأداة*، المرجع السابق ص 107.

31- د. فاطمة موسى ، *نجيب محفوظ وتطور الرواية العربية* , القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، (سنة 2001) ص 12/ جمال الغيطاني، *نجيب محفوظ يتذكر* ، القاهرة : المكتبة المصرية، (سنة 1978م) 27

32- سامح كريم ، *الرجل و القمة , القاهرة :* المكتبة المصرية (سنة 1982 م)ص17

33- حسين عيد، *نجيب محفوظ سيرة ذاتية وأدبية*، المرجع السابق ص174

34-حوار نجيب محفوظ *مجلة الهلال*.(1971م)ص 57.

35- جمال الغيطاني، *نجيب محفوظ يتذكر*، المرجع السابق ص 61

36- جمال الغيطاني، *نجيب محفوظ يتذكر*، المرجع السابق ص 63

37- المرجع السابق ص62

38- رجاء النقاش، *نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه و حياته*, المرجع السابق ص 72

39- المرجع السابق ص52/ حسيد عيد, *نجيب محفوظ سيرة ذاتية أدبية*, المرجع السابق ص225/ حوار *مجلة الآداب*, العدد 267

40- المرجع السابق ص53

41- حسين عيد، *نجيب محفوظ، سيرة ذاتية وأدبية*، المرجع السابق ص 227

42- نبيل فرج, *نجيب محفوظ حياته وأدبه*, القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب(سنة 1986م) ص 37

43- *مجلة المصور*, عدد خاص. 1973م

44-أحمد عطية، *مع نجيب محفوظ*، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب (سنة 1984م) ص34

45- د. فاطمـــة موســـى، *نجـــيب محفوظ وتطور الرواية العربية*, المرجع السابق ص14/ يحى حقى، *فجر القصة المصرية* , القاهرة : الهيئة العامة للكتاب(سنة1956)ص46

46- حسين عيد , *نجيب محفوظ سيرة ذاتية و أدبية*، المرجع السابق ص233

47- قوت القلوب الدمرداشية(1892م-1968م) هي سيدة مصرية غنية, كانت لها مكانة مرموقة في الأوساط السياســـية والاجتماعية والثقافية لمصر قبل ثورة 1952م, وقد ورثت والدها الشيخ محمد الدمرداش(شيخ الطريقة الصـــوفية) ثـــروة طائلـــة كان بينها خمسة آلاف فدان(مستشفى الدمرداش) الشهير الآن, وكان والدها أقام هذا المستشـــفى كمؤسســـة خيريـــة صحية خاصة, وكانت قوت القلوب الدمرداشية مهتمة بتشجيع الأدب والأدباء, وأنشأت لذلك جائزتها الأدبية السنوية سنة 1939م, وهي أول جائزة يفوز بها أديبنا نجيب محفوظ.